الشعرية بين الروافد اليونانية والأصول العربية في ضوء النقد المغاربي

حورية بن يطو

المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان

hbenyettou0@gmail.com

الملخص: إن الباحث في موضوع الشعرية لدى البيئة الثقافية المغاربية ، لا تكـاد تخفى عليه ملامح التأثر بين الروافد اليونانية والتأثير في الأصول العربية ، ويظهر أن تأثرها بأرسطو يدور في فلك كتاب فن الشعر ومعرفتها العميقة بما كتبه أرسطو ، أما الفلاسفة المسلمون أمثال : ابن سينا ، والفارابي ، فقد انتقل تراثهم الى بيئة النقاد المغاربة واستوعبوه وتمثّلوا قضاياه الرئيسية في غاية الدّقة والإحـاطة ،فلم ينصبوا اهتمامهم على الشكل الخارجي للنص الشعري ممثلا في الوزن والقافية أو بعض صفاته اللغوية فحسب ، وإنما انشغلوا بما هو خفي وكامن في النص ، يظهر أثره في النفس ، فإذا قبلته تحركت لقبول ما بعده واذا انقبضت منه انقبضت لما بعـده ، ولا يتأتى ذلك إلا بطول النظر فيما هو موجود و بالاعتماد على الذوق والخبرة اللغوية ، فأي قصـور في تأليف العمل الشعري إنمـا يأتي من هذا الجانب ، وهذا يعني ، أن المعطيات الموضوعية لعملية اللقاح الفكري مع الثقافة اليونانية كانت متوافرة في البيئة المغاربية ، ونظرا لتشعب تأثير الكتاب (الشعر) في النقد الأدبي سنقتصر على دراسة هذا التأثير في أبي حازم القرطاجني و أبي القاسم السجلماسي.

الكلمات المفتاحية : الشعرية ، المحاكاة ، التخييل ، فن الشعر ، الفلاسفة المسلمين ، الأقاويل الشعرية ، المتلقي.

Summary :The researcher on the poetic theme in the Maghreb cultural environment is hardly a hidden feature of the influence between the Greek tributaries and the influence of Arab origins. They seem to be influenced by Aristotle, in the orbit of the book of poetry and knowledge of the depth written by Aristotle. Muslim philosophers such as Ibn Sina passed on their heritage to our Moroccan critics, absorbed them, and presented their main issues with the utmost precision and attention. They did not focus on the outer shape of the poetic text of weight and rhyme or some of its linguisticcharacteristics, but they were busy with what was hidden and hidden in the text. I mean that the objective data for the process of the intellectual vaccine with culture is that this work is unacceptable. Greek was available in the Maghreb environment, and because of the complexity of the influence of the book (poetry) in literary criticism, we will limit the study of this effect in Abu Hazem Carthaginian and Abu QasimSigalmasi.

Keywords: poetry, simulation, fiction, art of poetry, Muslim philosophers, poetic narratives, receiver

الشعرية في ضوء التأثيرات اليونانية:

. حدّ الشعر عند حازم القرطاجني:

إن الباحث في موضوع الشعرية عند حازم القرطاجني، لا تكـاد تخفى عليه ملامح التأثر بين الروافد اليونانية و التأثير في الأصول العربية ، ويظهر أن الروافد اليونانية تدور في فلك فن الشعر لأرسطو ، لأن ترجمته ، أو تلخصّه تنطلق منه وهذا كلّه يندرج ضمن نصـوص ابن سينا والفـارابي [1] وهو مـا يقود الى القـول : إن الفلاسفة المسلمين لهم دورهم في تفعيل مفـاهيم الشـعر والشعريـةوتثبيث مدلولات الأشياء و تعميقها ، كما أن للفلاسفة المسلمين اسهامهم في مجال الوعي عند حازم ، ذلك ان اجتهـادهم في بحث أصول الشعر والشعرية يعد اضـافة نوعية الى التـراث العربي ، تمثلت في أهمية عملية التأويل ، انطلاقـا من مقـاصدها الهـادفة الى تحويل النص الى معنى معقـول في النظريـة الشعرية [2] .

فقد سعى حازم القرطاجني في كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) الى الاحاطة بالشعر و الى ضبط الشعرية ، فقد عرّف الشعر تعريفين ، يقول في التعريف الأول : « الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبّب الى النفس ما قصد تحبيبه اليها ، ويكره اليها ما قصد تكريهه ، لتحمل بذلك على طلبه ، أو الهرب منه ، بما يتضّمن من حسن تخييل له ، ومحاكاة مستقلة بنفسها ، أو متصورة بحسن هيـأة تأليف الكلام ، أو قوة صدقه ، أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك ، و كل ذلك بما يقترن من اغراب (...)»[3].

يشير حازم ـ في هذا التعريف ـ الى قدامة بن جعفر [4] ، و ان كان متصّلا بمعنى التخييل والمحاكاة [5]، وليس يخفى مافي هذا التعريف من اشارة واضحة الى اختصاص الشعر بالوزن والقافية ،بالإضافة الى فعل التخييل والمحاكاة ، ينضاف الى ذلك مسألة الطلب والهرب والانفعال والتأثر مثلما يوضحه لفظ الاغراب ، وهذا يعني أن تعريف حازم للشعر قد نهل من أفكار النقاد القدامى ، مع ادخال عنصر التخييل في صلب هذا التعريف ، وهي إشارة واضحة الى ما ذكره ابن سينا في كتابه (الشفاء) ، يقول ابن سينا : « ونقول نحن أولا : ان الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال متساوية وعند العرب مقفاة »[6]، كما أن ربط الشعر بالتخييل في تعريف الحازم ، يجعله متواشجا مع ابن رشد في (الشرح الوسيط) للأقاويل الشعرية بأنها أقوال مخيلة [7] .

بيد أن حازما لا يكتفي بإبراز الخصائص العروضية من وزن و قافية في تعريفه للشعر ، لأن هذا التعريف ـ حسبه ـ يغفل جوهر الشعر ، ويبتعد عن معرفة حقيقته وبواعثه وماهيته ، ودراسة الانفعال والعواطف و وسائل

تصويرها [8] ، لذا يستعمل حازم في حديثه عن الشعر و الشعرية مجموعة من الاصطلاحات ، أهمها : المحاكاة و التخييل .

فالمحاكاة عند حازم هي جوهر الشعر ، وهي :« علة التحسين و التقبيح ، وأنها قد تكون ظاهرة أو كامنة ولكنها قوام الشعر » [9] ، و إذا عدنا للحديث عن محاكاة عند أرسطو ، نجد أنها جوهر العملية الابداعية في جميع الفنون ، فهي أساس التأليف لكل جنس من الأجناس الشعر التمثيلي ، ويرى أحمد الجوّة أنه : « إذا كان التقليد الوسيط في أوربا قد وجه فهم المشتغلين بالكتابة الأدبية ، فضيّق على هذا المتصور الانشائي مجاله ، واعتبره مجرد نقل للواقع ، وتقيد بمعطيات المباشرة دون ابتكار لواقع جديد ، فإن هجرة المتصوّر من منبته الاغريقي الى بيئة العرب تفترض عملية تحويل ، أو تعديل له يصير بهذا أشد اتصالا بمعطيات هذه البيئة ، وأقرب الى حقيقة النظرة الجمالية في حضارة العرب من جهة تأليف الشعر وتذوّقه ومن ناحية العلاقة بين القائل و القول وأثر القول في السامع »[10] .

لذا نجد أن حازم القرطاجني قد تمثّل هذه الحقيقة الجمالية ، وعبّر عنها في مواضع عديدة في منهاجه ، وذلك بضبطه لمتصور الشعرية ولحدّ الشعر ، فتحدث عن مسالك الشعرية و ضبط أنواعها ، وميّز منها ما يكون مولدا لمتصوّر الشعرية في الكلام مما يحول دون ذلك .

والظاهر أن حازما أخذ مسألة المحاكاة عن الفلاسفة المسلمين ، وقسمها الى : « محاكاة مستقلة بنفسها ، أو متصوّرة بحسن هيئة تأليف الكلام » [11]، فالمحاكاة المستقلة بنفسها تعني ـ في نظر حازم ـ التشبيه و الاستعارة ، والمحاكاة المتصورة بحسن هيئة الكلام تعني عند حازم أثر تركيب الكلام في التعبير عن المحاكاة ، ويظهر أن حازما أخذ هذه القضية عن ابن سينا ، يقول ابن سينا : « أما المحاكيات فثلاثة : تشبيهو استعارة و تركيب »[12] .

ويضيف حازم أن حسن المحاكاة والهيئة ، هي صفة الشعر الجيد ، كما أن قبح الهيئة : « يحول بين الكلام وتمكنه من القلب ، وقبح المحاكاة يغطي على كثير من حسن المحاكي ، أو قبحه ، ويشغل عن تخيّل ذلك ، فتجمد النفس عن التأثر له»[13].

وليست المحاكاة عند حازم طبيعة مركبة في الانسان تحقق له الالتذاذ بوصفه حالة شعورية أو وضعية نفسية ، بل ان المحاكاة ـ في نظره ـ هي التي تحول القبيح و تجعله جميلا ، والبشع مقبولا إذا اتقن فعلها ، وقد

استدل حازم لتوضيح رأيه هذا برأي ابن سينا ، يقول حازم « وقال ابن سينا[14] أيضا في كتاب الشعر من كتاب الشفاء : إن النفوس تنشط وتلتذّ بالمحاكاة فيكون ذلك سببا ، لأن يقع عندها للأمر فضل موقع ، والدليل على فرحهم بالمحاكاة أنهم يسرون بتأمل الصور المنقوشة للحيوانات الكريهة المتقزز منها ، ولو شاهدوها أنفسها لتنطّوا عنها ، فيكون المفرح ليس نفس تلك الصورة و لا المنقـوش بل كونها محاكاة لغيرها إذا كانت أتقنت ، ولهذا السبب ما صار التعليم لذيذا لا الى الفلاسفة فقط بل الى الجمهور ، لما في التعليم من المحاكاة (...) »[15].

والمتأمل في حديث حازم القرطاجني ، يجد أن المحاكاة هي متصور انشائي غير مخصوص بالشعر فقط وتوليد الشعرية في الكلام ، بل هو مادة تخص الصناعة ، وهذا الأمر جعل المحاكـاة لا تخرج عن الأقوال ، و هذا عكس أرسطو الذي جعل المحاكاة تختص بالأفعال حين عرّف بأجناس الشعر التمثيلي عند اليونان .

وعلى الرغم من أن حازما يشير ـ صراحة ـ أن الشعر يقوم على المحاكاة ، وليس على العناصر العروضية ، فالشعر يصوّر المعنى من خلال الشكل ، ولكنه لا يقوم ـ أبدا ـ على الشكل لأن « الشعرية في الشعر إنما هي نظم ، أي لفظ اتفق كيف اتفق نظمه وتضمينه ، أي غرض اتفق على أي صفة اتفق ، لا يعتبر عنده في ذلك القانون ولا رسم موضوع ، إنما المعتبر عنده اجراء الكلام على الوزن و النفاذ به الى قافية فلا يزيد بما يصنعه من ذلك على أن يبدي عن عواره ، ويعرب عن قبح مذاهبه في الكلام »[16] ، ويرى عصام قصبجي أن الشعرية هي التي كان ينبغي أن يفيض النقاد في تبيان معالمها ، و هي التي سماها حازم المحاكاة ، وجعلها حقيقة الشعر [17] ، كما أنها تميّز الشعر من ضروب أجناس الكلام « فما كان من الأقاويل القياسية مبنيا على تخييل ، وموجود فيه المحاكاة فهو يعد قولا شعريا ، سواء كانت مقدماته برهانية أو جدلية أو خطابية يقينية ، او مشتهرة أو مظنونة »[18].

والذي لا ريب فيه أن حازما تجاوز تقسيمات البلاغيين للتشبيه والاستعارة الى دراسة ظاهرة المحاكاة و قوانينها العامة ، فتكلم على التمثيل بدل التشبيه ، وتجاوز بحث الاستعارة الى الحديث عن الفلسفة تمثيل الاشياء و المشاعر في الشعر يقول حازم : « وقد سلكت من التكلم في جميع ذلك مسلكا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة ، لصعوبة مرامه وتوعر سبيل التوصل اليه ، هذا على أنه روح الصنعة وعمدة البلاغة (...) فإني رأيت الناس لم يتكلموا الّا في ظواهر ما اشتملت عليه تلك الصناعة ، فتجاوزت أنا تلك الظواهر بعد التكلم في جمل مقنعة مما تعلق بها الى التكلم في كثير من خفايا هذه الصنعة و دقائقها »[19].

يظهر أن ما أتى به حـازم من أمر المحاكاة ، أمر قد قاله ابن سينا و الفارابي [20] ، و الحجة في ذلك ما أورده حازم للفارابي ، يقول :« و قد قال أبو نصر [يعني الفارابي] في كتاب الشعر : الغرض المقصود بالأقـاويل المخيلة أن ينهض السـامع نحو فعل الشيء الـذي خيل له فيه أمـر ما من طلب له أو هرب منه »[21].

وإذا تفحصنا بعض الدراسات التي تناولت المحاكاة عند حازم القرطاجني ، لا نجد تحديدا دقيقا لها ، باستثناء ما أورده سعد مصلوح ، يقول : « ولكن الرائع حقا في هذا المقام أن حازما أفلت و لو للحظات من أسر الفلاسفة المسلمين للمحاكاة ، فأصبحت المحاكاة عنده ذات صبغة أرسطية حقيقية وهي محاكاة للأحداث و الأفعال ، ومن المقطوع به أنه لم يأخذ الفكرة عن أرسطو ، ولكن عقليته التشقيقيّة المولعة بالتوليد والاستقصاء ساقته اليها ، فالتقت فكرته ـ الى حدّ ما ـ وفكرة أرسطو دون قصد »[22].

إذا كنا نوافق سعد مصلوح بأنه أول من نبّه على طبيعة المحاكاة عند حازم القرطاجني ، فلن نوافقه على أنها محاكاة الأحداث و الأفعال ، ويرجع ذلك لسببين اثنين : أولهما أن سعد مصلوح لم يقدم الحجّة الداعمة لرأيه حول طبيعة المحاكاة عند حازم ، وقوله عن المحاكاة عند حازم هي محاكاة الاحداث و الافعال كما هي عند أرسطو في تعريفه للمأساة على سبيل المثال ، فإذا عدنا الى أرسطو نجد أنه يتحدث على المأساة ، يقول : « فالمأساة ، إذن هي محاكاة فعل نبيل تام (...)، وهذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون ، لا بواسطة الحكاية »[23].

ولكي يدعم سعد مصلوح رأيه الذي يقول فيه : إن المحاكاة هي ذات صبغة أرسطية ، يستشهد بقول حازم في المحاكاة التامة ، يقول حازم : « فالمحاكاة التامة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي بموالاتها يكمل تخييل الشيء الموصوف وفي الحكمة استقصاء أركان العبارة عن جملة أجزاء المعنى الذي جعل مثالا لكيفيات مجاري الأمور و الأحوال ، وما تستمرّ عليه أمور الأزمنة و الدهور ، وفي التاريخ استقصاء أجزاء الخبر المحاكي و موالاتها على حدّ ما انتظمت عليه حال وقوعها كقول الأعشى:

كُنْ كَالسَّمَوْءَلِ إِذَا طَافَ الهُمَامُ بِه فِي جُحْفُلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّار

إِذْ سَـامَة خُطِيُ خُسُفٌ فَقَالَ لَهُ قُلْ مَا تشَاءُ فَإِنِي سَامِعُ حَـار

فَقَالَ : غَدْرٌ وَ تَكِلْ أَنْتَ بَيْنَهمَا فَـاخْتَرْ وَمَا فِيهَا حَظُ لْمُخْتَار

فَشَكٌ غَيْرُ طَوِيلٍ ثُمَّ قَـــالَ لَهُ أُقْتُل أَسِيرَكَ إِنِي مَـانِعُ جَارِي

فهذه محاكاة تامة ، ولو أخلّ بذكر بعض أجزاء هذه الحكاية ، لكانت ناقصة ، ولو لم يورد ذكرها الاّ إجمالا لم تكن محاكاة ، ولكن إحالة محضة » [24].

فهذا المثال الذي أورده حازم في معرض حديثه عن المحاكاة التامة لا يلتقي مع مفهوم أرسطو للحكاية ، لأن الحكاية ـ عند أرسطو ـ تتألف من مادة تختلف تماما عن المادة التي تألفت منها حكاية الأعشى و السموأل .

وأما السبب الثاني الذي جعلنا لا نوافق رأي سعد مصلوح في حديثه عن طبيعة المحاكاة عند حازم ، هو أن حازما وضع تصورا للمحاكاة خاصة به، تحدث عنه في مواضع كثيرة من منهاجه ، منها على سبيل المثال لا الحصر ، حديثه عن الاتساع في المحاكيات الشعرية وعن أصنافها ، حيث قارن بين المذاهب اليونانية ومذاهب العرب ، يقول حازم : « وكان الشعراء اليونانيين يختلقون الأشياء يبنون عليها تخاييلهم الشعرية ، ويجعلون جهات لأقاويلهم ، ويجعلون تلك الأشياء التي لم تقع في الوجود كالأمثلة لما وقع فيه ، ويبنون قصصا مخترعة (...) »[25] .

وقد أبدى حازم القرطاجني احتراسا كبير على أشعار اليونانيين و مذاهبهم التي كانت تعتمد على الخرافات ، يقول حازم : « إن الأشعار اليونانية ، إنما كانت أغراضا محدودة في أوزان مخصوصة ومدار جلّ أشعارهم على خرافات كانوا يضعونها ، يفرضون فيها وجود أشياء وصور لم تقع في الوجود(...) »[26] ، ينضاف الى كل ذلك أن تصور حازم للمحاكاة أخذ جزء كبيرا منه عن تصور النقاد و البلاغيين العرب ، وكذلك عن الفلاسفة المسلمين ، وهذا التصور ينظر الى الشعر على أنه شعر غنائي يختلف تمام الاختلاف عن الشعر التمثيلي عند اليونان ، فالشاعر ـ عند اليونان ـ يؤلف شعره ويقدمه الى الممثل الذي يمثله في عرض مسرحي على حلبة المسرح ، وقد انتبه عبد الحميد جيدة الى هذا الرأي ، وذهب الى أن حازما ترسّم خطى الفلاسفة المسلمين ، فوسع « مفهوم المحاكاة ، لتشمل طبيعة الشعر العربي كلّه ، وقسمها تقسيمات متنوعة تبعا لتنوع موضوعات الشعر العربي و صوره و معانيه »[27] ، ويضيف عبد الحميد جيدة أن حازما ، وهو يتحدث عن طبيعة المحاكاة ، أدرك بعمق القوانين التي وضعها أرسطو للشعر اليوناني ، كما أدرك في الوقت ذاته طبيعة الشعر العربي ، لكن وعي حازم التام بكل ذلك منعه من أن يسحب قوانين أرسطو على الشعر العربي [28].

والواقع أن حازما كان يتابع الفلاسفة المسلمين ، وخاصة ابن سينا في مسألة المحاكاة ، وينقل عنه آراءه في هذا الموضوع الأمر الذي جعل سعد مصلوح يقرّر أن ابن سينا ، والفارابي و ابن رشد عمدوا الى تكييف اصطلاح الشعر ـ بالمفهوم الأرسطي ـ تكييفا يلائم طبيعة الشعر العربي بوصفه شعرا غنائيا ، لكن سعد مصلوح يقرّ ـ أيضا ـ بفضل حازم القرطاجني و جهوده في هذا الميدان ، يقول : « و انتقل هذا الميراث الفلسفي الى حازم ، فقراءة و تمثّله ، ثم أخطأ حين أخطأ الفلاسفة وأصاب حيث أصابوا ، ولكنه كان في خطئه عبقريا متفردا ، فقد نظر الى الشعر العربي و أطال النظر وأسعفته موهبته الشعرية الممتازة ، فأخرج لنا مبحثا تفصيليا في المحاكاة بالمفهوم العربي هو غاية في الدّقة والاحاطة »[29] هذا الثناء على جهود حازم لا يكاد ينكره الاّ جاحد ، لأن ما قام به حازم من استيعاب لتراث الفلاسفة المسلمين ، وإن كان بعض الدراسيين [30] يرى أن حازما قد اختصر بعض أفكار الفلاسفة المسلمين ، وذلك بإسقاطه المثال الذي أبان بعضهم الفكرة المقدمة ، ولكننا لا ندرك كيف يكون التفرد في الخطأ ، أو مع الخطأ ، ولا ندرك ـ أيضا ـ المقصود بالمفهوم العربي للمحاكاة .

أما جابر عصفور ، فقد أقرّ أن المحاكاة « لا يمكن أن تكون مجرد نقل حرفي للواقع ، أو للعالم وإنما هي صياغة لموقف المبدع من الواقع أو العالم (...) »[31] ، وقارن جابر عصفور بين حازم القرطاجني وأرسطو في تصور طبيعة المحاكاة عند كل منهما ، واعتمد ـ في تبيان ذلك ـ على تفسير بوتشر(Butcher) لكتاب الشعر لأرسطو ، وانتهى الى أن هناك فرق واضح بين تصور أرسطو للمحاكاة وتصور حازم لها ، ورأى أن المحاكاة عند أرسطو تعتمد على مبدأ الإمكان و الاحتمال دون العبث بالقوانين التي تجعل العالم الحقيقي معقولا ، كما أن الشاعر ـ في تصوّر أرسطو ـ في تشكيله لمادة عمله لا يمكنه أن يتجاوز الطبيعة .

أما المحاكاة عند حازم القرطاجني ، فأمرها يختلف اختلافا واضحا ، وذلك أن الشاعر لا يستجيب لقوانين الطبيعة الأساسية ، بقدر استجابته للمقتضيات التي تفرضها عليه مهمته الأخلاقية ـ أصلا ـ وهذا يعني أن فكرة الإمكان و الاحتمال غير متوافرة عند حازم ، من الزاوية المعرفية الموجودة عند أرسطو التي يؤكدها شراح كتابه (الشعر) المحدثون ، إضافة الى الزاوية الوظيفية التي يحدّدها السلوك ، وكذلك قدرة الشعر على تحقيق مقصديته و أهدافه الأخلاقية [32].

يظهر أن جابر عصفور انزلق حينما عقد مقارنة بين أرسطو وحازم في تبيان مفهوم المحاكاة ، لأن طبيعة الشعر الذي كان أساس التنظير لفعل الابداعليست واحدة عند كليهما ، كما أن أرسطو أعطى للشاعر مجالا واسعا ، كي يؤلف الحكاية ، ويتخير لها الممثلين والأسماء ، وضروب التحولات التي تجعل منها فعلا إنشائيا

حقيقيا ، الأمر الذي يجعل المدى الشعري ـ الذي يمنحه أرسطو ـ للمحاكاة محدودا ، أما حازم القرطاجني ، فالأمر عنده يختلف ذلك أن رؤيته لمتصوّر المحاكاة لا يتلاءم مع رؤية أرسطو للمتصوّر نفسه ، وهذا ما يفسر رفض حازم للشعر اليوناني المبني على الاختلاف الامتناعي والخرافات البسيطة ، وكذلك القصص المخترعة ، وهذه تعدّ كلها مادة أساسية للمحاكاة الشعرية عند اليونان .

أما محمد مفتاح ، فقد درس موقف حازم من قضية المحاكاة ، ورأى أن حازم انخرط في نظرية المحاكاة كما هي عند أرسطو مثل انخراط ابن رشد فيها ، وتعقب محمد مفتاح الرسومات التي ذكرها حازم في منهاجه ثم أبان عنها بالخطاطات و الرسوم و العلامات الرياضية ، كما عدّد محمد مفتاح أقسام المحاكاة و أنواعها ، ونبّه على أن القسمة تداخلت ـ أحيانا ـ و اعتراها النقص[33].

إن المتأمل في دراسة محمد مفتاح لمتصوّر المحاكاة عند حازم القرطاجني يصطدم بمسألة الاعتقاد ، بانخراط حازم في نظرية المحاكاة كما تصورها أرسطو ، واعتقاد محمد مفتاح بأن حازم القرطاجني تجاوز ما كان موجودا عند الفلاسفة المسلمين في قضية المحاكاة ، وبأنه استوعب الفكر اليوناني خصوصا في أصوله المنطقية ، واجتهد في وضع قوانين لضبط الأقاويل الشعرية ، أكثر مما وضعه أرسطو للشعر اليوناني [34] ثم إن تفكيك التقسيمات التي قدّمها للمحاكاة ، وتجسيدها برسوم تبرزها ، ليست دليلا قاطعا على أن حازما تفوق على أرسطو ، ووضع قوانين للأقاويل الشعرية تزيد على القوانين التي وضعها أرسطو للشعر اليوناني ، لأن الأمر لم يتجاوز اجتهاد ابن سينا في ابتداع الكلام في علم الشعر المطلق [35]، وهذا ما جعل حازم يواصل المسعى بالمسعى لتحقيق مطمح ابن سينا وكذلك مطمح أبي نصر الفارابي الذي اعتبر إتمام الصناعة التي لم يرم الحكيم أرسطو إتمامها مع فضله و براعته مما لا يليق بالمعلم الثاني [36].

هكذا نظر حازم القرطاجني الى تراث الفلاسفة المسلمين من قبله ، وأفاد بشروحهم لكتاب (الشعر) لأرسطو و آرائهم فيه ، وخاصة فيما يتعلق بالشعر ، «ومن هذه الزاوية يأتي التقدير الدور اللافت الذي لعبه أرسطو في التفكير النقدي و البلاغي عند العرب ، وإن كان هذا الدور لا ينفي الأصالة »[37] في ميدان النقد الشعري و الشعرية .

و أما التعريف الثاني للشعر ، فقد اقتبسه حازم القرطاجني حرفيا عن ابن سينا [38]، يقول حازم « الشعر كلام مخيل موزون ، مختص في لسان العرب بزيادة التقفيه الى ذلك ، والتئامه من مقدمات مخيلة ، صادقة كانت ، أو كاذبة فيها ـ بما هي شعر ـ غير التخييل »[39].

تحدثنا ـ فيما سبق ـ عن متصوّر المحاكاة [40] التي عدّها حازم القرطاجني جوهر الشعر و حقيقته وننتقل ـ الآن ـ الى الحديث عن التخيّل و دوره في الشعر .

إذا كانت المحاكاة مصدرا من فعل لازم ،وهي متعلّقة بالقائل و المقول فيه ، فإن التخييل مصدره فعل متعدّ ، وهو معقود ـ حسب مصطفى الجوزو ـ بالمقول له و بردود أفعاله إزاء الأقاويل الشعرية ،كما أن التخييل موصول بصفات السحاب الذي تخاله ممطرا في بعض آيات القرآن الكريم [41] .

ولقد تحدث حازم عن التخييل في مواضع كثيرة من منهاجه ، هدف فيها الى الإبانة عن التخييل الشعري والكشف عن أثره ووقعه في المتلقي ، أي : أن حازما ربط في تعريفه السابق للشعر بين ماهيته و وظيفته ، فالشعر عنده يقوم على خاصيتي الوزن و القافية ، لأنه محكوم بهما في لسان العرب و أما وظيفته ، فتتمثل في الأثر الذي يتركه الشعر في التلقي و التخييل هو الذي يقوم بهذا الدور ، لأن التخييل ـ كما تقول الفت كمال روبي ـ هو ذلك : « الأثر الذي يتركه العمل الشعري في نفس المتلقي وما يترتب عليه من سلوك و يمكن القول بعبارة أخرى : إنه يشير ـ باختصار ـ الى عملية التلقي في العملية الشعرية (...) »[42]، إن ربط الفت كمال الروبي التخييل بعملية التلقي إشارة واضحة الى وقعه في النفس وأثره فيها فحازم يرى أن الصناعة الخطابية تعتمد في أقاويلها على تقوية الظن لأعلى إيقاع اليقين ، وأن الصناعة الشعرية تعتمد على التخييل الأشياء التي يعبر عنها بالأقاويل ،وبإقامة صورها في ذهن المتلقي بحسن المحاكاة ،كما يرى حازم أن التخييل لا ينافي اليقين كما نافاه الظن يقول :« وكان التخييل لا ينافي اليقين كما نافاه الظن ، لأن الشيء قد يخيل على ماهو عليه ، على غير ما هو عليه »[43] ، وينتهي حازم ـ بعد ذلك ـ الى الجزم بأن تكون الأقاويل الشعرية اقتصادية أو استدلالية غير واقعة أبدا في طرف واحد من النقيضين اللذين هما الصدق و الكذب ، ولكن تقع تارة صادقة ، وتارة كاذبة ، إذ ما تتقوّم به الصناعة الشعرية و هو التخييل »[44] .

يظهر أن حازما رفض أن يكون حدَّ الشعر مجرّد إقامة الوزن وإجراء القافية كما حدّد ذلك العروضيون قبله ، بل إن الشعر يقوم على التخييل الذي هو أساس له ،كما أن حازما كان يروم دفع الشبهة عن الشعر ، وذلك عن طريق رفضه بأن الشعر هو مجرد فن يروج للكذب ، لأنه اقتنع « أن الشعر إنما هو التخييل و المحاكاة (...) »[45] ،كما كـرّر هذا المعنى في موضع آخر من منهـاجه ، يقول : « ولم يعلموا أن هذه المقدّمات كلّها ، إذا وقع فيها التخييل و المحاكاة ،كان كلام قولا شعريا ، لأن الشعر لا تعتبر فيه المادة ، بل ما يقع في المادة من تخييل »[46].

ودرس صفوت عبد الله الخطيب [47] التخييل ، ورأى أن للتخييل عدّة مستويات : أولهما أن التخييل إذا نظر اليه بوصفه وظيفة نفسية لا يمكن أن يقوم بهذا الدور الذي نسبه حازم الى الشعر لأن وظيفة التخييل ـ في هذه الحال ـ هي تركيب صورة مألوفة يضمّ أجزائها الطبيعية الى بعض ، أو اختـراع صورة مبتكرة بتأليف أجزائها المختلفة ، ثمّ اعادة تشكيلها و ذلك على اختلاف في درجة التخييل في الحالتين ، أما استخدام هذه الصورة في بسيط النفس وقبضها ، فهو من وظيفة الشعر الذي تدفع قوّة تأثيره في المتلقي لاتخاذ سلوك ما ، اما أن ينزع نحو الشيء طلبـا له ، أو ينفر عنه هربـا منه .

وثانيهما : أن حازما ركز على دور التخييل في العملية الشعرية ، واعتبره أحد العناصر الأساسية في الشعر ، وقد أشار الى هذه القضية عندما تحدث عن الفصل بين القول الشعري و غيره من ضروب الكلام ، يقول حازم « فالشعر إذن قد تكون مقدماته يقينية و مشهورة و مظنونة ، ويفارق البرهان والجدل والخطابة بما فيه من التخييل والمحاكاة »[48]، وثالثهما : أن حازما لم يعرف الشعر تعريفا عروضيا كما عرفه النقاد الذين سبقوه ، ولكنه حدّد طبيعته بما فيه من محاكاة وتخييل .

لقد سعى حازم القرطاجني الى ارفاد الشعرية العربية ببعض أفكار أرسطو ، لأن المصادر التي نهل منها ، وعوّل عليها في تحديد الشعر و الشعرية هي مصادر الفلاسفة المسلمين ، وخاصة ابن سينا الذي اعتمد عليه في ضبط متصور الشعر ، فألحّ على فكرة التخييل من ناحية ، وفكرة الوزن و القافية من ناحية الأخرى ، يقول ابن سينا :« ان الشعر هو كلام مخيّل المؤلف من أقوال موزونة متساوية ، وعند العرب مقفاة ، ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية ، فإن عدد زمانه مساو لعدد زمان الآخر ، ومعنى كونها مقفاة هو أن يكون الحرف الذي يختم به كل قول منها واحدا (...) و إنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مخيل ، ومخيل هو الكلام الذي تدعن له نفس فتنبسط عن الأمور ، وتنقيض عن أمور من غير رؤية واختيار »[49].

يتضح من هذا النص ، أن ابن سينا خص الشعر بما فيه من وزن ، وهذه القضية تعود الى أصول أرسطية ، ذلك أن أرسطو استنكر على النقاد تخصيصهم الشعر بالوزن المقول فيه ، و اعتبارهم الشعر بما فيه من الأوزان فقط دون اشتراط التخييل ، ومن ثم ألحّ أرسطو على دور المحاكاة أو التخييل في الشعر و أثرهما في مضمونه ، يقول أرسطو :« فالظاهر مما سبق أن الشاعر ، أو الصانع بويتيس ينبغي أن يكون أولا صانع القصص قبل أن يكون صانع أوزان ، لأنه يكون شاعرا بسبب ما يحدثه من المحاكاة »[50] ، يرى محمّد العمري أن الرؤية الشعرية

عند حازم جعلته يخرج من دائرة الصدق و الكذب الى التخييل ،كما ان رؤيته جعلت موقفه من متصور التخييل موقفا ضروريا للملاءمة بين المتصوّر المترتب على القراءة الشعرية لأرسطو ، في إطارها الفلسفي ، وطبيعة الشعر العربي الغنائي عامة [51].

و الذي لا شك فيه أن ابن سينا ردّد ماقاله أرسطو بشأن إضافة التخييل أو المحاكاة الى الوزن ، وهو الأصل القائم بعد تعدد الأوزان داخل النص الواحد [52] ، وهذا ما تظهره ترجمة متّى بن يونس القُنّائي التي كانت مصدر هؤلاء الفلاسفة المسلمين في التعرّف الى كتاب (الشعر) لأرسطو ،من أمثلة ذلك ،يقول متّى بن يونس : « لقد جرت عادات الناس أنه اذا وضعت مقالة طبية أو طبيعية في كلام منظوم ، سموّا واضعها الشاعر ، على أنك لا تجد شيئا مشتركا بين هوميروس و أميبدوكليس ما خلا الوزن (...) » [53] ، وعندما يترجم ابن سينا هذا النص ، يرى أن هذه الأشعار « ليست بالحقيقة أشعارا وللكن أقوالا تشبه الأشعار ، وكالكلام الذي وزنه أنباد قليس ،وجعله في الطبيعيات ، فإن ذلك ليس فيه من الشعر الّا الوزن ، ولا مشاركة بين انباد قليس و بين أميروس الّا الوزن (...) » [54].

يشير ابن سينا صراحة الى أن تعدّد الأوزان ينفي شعرية الشعر ، ويجعله مجرد وزن ، وهذا هو ما فهمه ابن سينا من ترجمة متّى بن يونس لكتاب الشعر لأرسطو.

وإذا عدنا الى حازم نجد أنه قد سكت عن هذه الفكرة في معالجته لخصائص الشعر و الشعرية ، وأغلب الظن أن عدم تطرق حازم لهذه الفكرة ينبئ عن مدى أصالته في تعامله « مع التراث النقدي المتّصل باليونان من خلال هذه الشروح العربية لكتاب أرسطو ، ومدى إدراكه للخصائص المميّزة للشعر العربي ، وهو موضوعه ، وعدم خلطه بين قوانين أرسطو وهذا الشعر »[55].

والذي لا ريب فيه أن حازما تابع ابن سينا في دراسته لمتصور التخييل ، غير أن دراسة ابن سينا له اتسمت بطابع الشمولية ، لأنه لم يحتفل فيها بتفصيل مقدّمات نتائجها ، ولكنها جاءت ـ كما يقول سعد مصلوح ـ « في ثنايا عرضه الذّكي لما حوى كتاب أرسطو من قضايا »[56] ، أما حازم القرطاجني، فقد فصّل في صياغة الأسس التي يقوم عليها التخييل الأمر الذي جعل مصطفى ينتصر لحازم بخلاف متصوّر المحاكاة ، حيث وقف موقفا متشدّدا من حازم فقلّل من آرائه في المحاكاة ، وأنكر عليه أية قيمة في دراسته للمحاكاة تقسيما و تفريعا ، وتشقيقا منطقيا يقول مصطفى الجوزو : « (...) هذه الارادة [يعني اكمال نظرية أرسطو في الشعر]هي التي دفعت القرطاجني على ما يبدو الى الاكثار من التقسيمات و التفريعات مما جعل نظريته عملية حسابية

منطقية ،ان صحّ التعبير ، ليس فيها من علم الشعر المطلق شيء ، وانما هي تعداد مرهق وسقيم ، يمكن لأي منطق متحمّل أن يصل الى قريب منه(...) » [57].

لا يختلف أي دارس مع مصطفى الجوزو حول الصعوبة التي يجدها دارس حازم ، وهو يتقصّى الأقسام التي ذكرها حازم للمحاكاة ، وكذلك تفريعاتها الرياضية و المنطقية ، وإن كان صنيع حازم دالا في حد ذاته على اقتدار تجريدي واضح لاحظه محمد مفتاح و أثنى على حازم [58] ، وهذا بخلاف مصطفى الجوزو الذي انتقص من جهد حازم ، يقول : « وزبدة القول أن الجبل تمخض فولد فـــأرا ، لأن صاحبنا [يقصد حازما] الذي طمح الى وضع علم الشعر المطلق ، واستكمال نظرية أرسطو وتحقيق مرتجى ابن سينا ،لم يخرج على أفكار سابقيه ، الاّ في تقصّي الحالات المختلفة للمحاكاة على طريق المناطقة والبلاغيين ، فابتدع تقسيمات كثيرة قليلة الغناء مرهقة ، وبدا بلاغيا أكثر منه صاحب نظرية شعرية (....) »[59] هذا تحامل واضح على حازم ، سعى فيه مصطفى الجوزو الى تبخيس المجهود الذي قدّمه حازم في منهاجه ، و لم يصدر أحكاما تتجاوز التفسير العلمي الى التحقير ، فنقده لحازم ذاتي بعيد عن المنهج العلمي ، بل على العكس ، فقد أكّد مصطفى الجوزو الاهتمام الخاص الذي أولاه حازم لمتصوّر المحاكاة ، وأكّد أن حـــازما استوعب المحاكاة و تمثلها على غـــرار ما فعل ابن سينا حين عني بالمحاكاة .

أما فيما يخص متصوّر التخييل ، فيظهر أن مصطفى الجوزو كان من أبرز المؤصّلين للتخييل عند حازم القرطاجني[60] ، حيث اعتبر حازما أدق الذين عرفوا التخييل [61] ثم يورد ما يقوله حازم بشأن التخييل ، ويقرّر أن التخييل عند حازم يوحي بأنه عمل منطقي منظم ، ثم ينتقل مصطفى الجوزو الى الحديث عن مسألة تأصيل متصوّر التخييل ، فيشمل من أسماهم بالشرّاح العرب ، يقول : « مهما يكن من أمر ، فلا مسوغ للقول بعد ذلك أن الشراح العرب يردّون فلسفة أرسطو في الشعر الى فلسفته العامة ، وينظرون الى التخييل على أنه العلّة الصورية للشعر ، والى المعاني و الافكار على أنه العلّة المادية ، فالتخييل مصطلح اسلامي عربي محض ، وإن كان وليدة فكرة المحاكاة ،كما أن المفهوم الذي يتضمن الأفكار و المعاني ، يعد عند الفارابي من عناصر التخييل (...) »[62] .

ومهما يكن من أمر ، فإن حازما لم يقف عند حدّ تعريف ابن سينا للشعر ، وإنما أضاف الى تعريفه حقيقة الشعر و ماهيته وغايته ،كما جعل حازم المحاكاة جوهر الشعر ، وتحدث عن دور التخييل في الشعر ، فدرسه و تمثّله وجعله أساس الشعر و قوامه و جوهره [63].

أما أبو محمد القاسم السجلماسي ، فقد عرّف الشعر بقوله : « الشعر هو الكلام المخيّل المؤلف من أقوال موزونة وعند العرب مقفاة، فمعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد ايقاعي ، و معنى كونها متساوية : أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال ايقاعية ، فإن عدد زمانه مساو لعدد زمان آخر ، ومعنى كونها مقفاة هو : أن تكون الحروف التي يُختم بها كل قولا منها واحدا »[64] .

إن هذا التعريف يتطابق تطابقا حرفيا و تعريف ابن سينا للشعر [65]، وهذا معناه أن السجلماسيأراد تحديد حدّ الشعر انطلاقا من هذا التعريف دون أن يذكر ابن سينا ، وهذا معناه أن حدّ الشعر ارتسم ـ عند السجلماسي ـ من خلال المفاضلة بين الشاعر والناظم ، وحسب اقتناع بأن الشعر تخييل .

وليس يخفى على الدارس مافي هذا التعريف من تركيب و من جمع ماهية الشعر و غايته ، فأما تركيب حدّ الشعر فمردّه الى جمع السجلماسي بين تحديد الشعر بالوزن والقافية ، وفعل التخييل يضاف الى ذلك كلّه أن تصدير التعريف بذكر الوزن والقافية يشدّه الى تعريف قدامة بن جعفر ، وإدخال التخييل في صلب التعريف يمتّن صلته بما أورده ابن سينا في تعريف الشعر ، يقول : « ونقول نحن أولا : ان الشعر هو كلام مخيّل ، مؤلف من أقوال موزونة متساوية ، وعند العرب مقفاة »[66]

إنّ الناظر في تعريف السجلماسي يجد أنه جاء مطابقا لتعريف ابن سينا السالف الذكر فالشعر ـ عنده ـ يختص بالوزن و القافية ، وإن كان يقوم على التخييل .

فالسجلماسي اذن ـ في تحديده لحدّ الشعر ، يبرز قيمة هذا التحديد ، وما يترتب عليه في مجال الشعرية فلا بد من توافر عنصر التخييل في التكوين الشعري بالإضافة الى توافر الوزن و القافية .

وسواء تحدّد الشعر في المنزع البديع بأنه كلام موزون مقفى ، وكان التحديد كاشفا الجذر النقدي في دراسة السجلماسي للشعر ، أو تحدّد الشعر بأنه كلام مخيّل ، تحديدا أبان عن أثر الفلاسفة المسلمين في شعرية السجلماسي وأكدّ استلهامه بعض أفكارهم كما فعل حازم قبله [67] ، فالظاهر من الحالتين أن تعريف السجلماسي للشعر لم يتبّع المنهج الذي اعتمده النقاد المنظرون للشعر في النصوص القديمة ، وقوام هذا المنهج ـ فيما قرّر حمادي صمود ـ توظيف زوج منهجي لوصف مجمل الانجازات اللغوية في باب ، وسَمُوه : تأليف العبارة يماثل تعريف ابن طباطبا العلوي ، أو يقترب من كلام ابن وهب الكاتب بخصوص سائر العبارة بلسان العرب [68] ينتقل السجلماسي بعد ذلك ـ الى عرض أفكار النقاد العروضيين و مناقشتها ، وذكر أن هؤلاء النقاد ركّزوا في

تعريفهم للشعر على العناصر العروضية من وزن و قافية ، وأغفلوا عنصر الخييل الذي هو جوهر الشعر ، يقول السجلماسي :« وهو بيِّن أنهم من قبل التزامهم ذلك في القوافي ، إنما يعنون بالقول الشعري هنا : القول المقفّى فقط ، ولالتزامهم ذلك أيضا في الشعر ، وكان الوزن هو الفصل المقوِّم عندهم للشعروالمفهم جوهره لأنهم لم يشعروا بعد بالمعنى الآخر ، وهو التخييل والمحاكاة ، وأنه عمود الشعر وجوهره ، تَبَع التقفية في الغرض والوزن »[69].

يشير السجلماسي الى أن الخصائص العروضيين من وزن و قافية هي الجوهر المشترك بين الشعر والمنظومات ، فكان لزاما أن يكون عنصر آخر يميّز بينهما ، وهذا العنصر هو التخييل لما يقوم به من من تركيب للصور المخترعة ، واعادة تشكيل الصورة الغائبة .

فتعريف السجلماسي للشعر بالتخييل يقرّ للخيال بالفاعلية ، لكن السجلماسي الذي ضبط نوع المعاني الملائمة للشعر سوّغ اشتراك المعاني التخييليه ، لكنه لم يسوّغ ادخال المعاني العلمية الخاصة بالمنظومات للشعر ، وهذا راجع الى طبيعة هذه المعاني المتعلقة بأهل الصنائع و المهن ، ثم أن استبعاد المعاني العلمية من حيز الشعر الحقيقي ، موقف متأت من تعريف الشعر بالتخييل الذي هو جوهره.

فالظاهر أن السجلماسي ركز على تعريف ابن سينا للشعر يوضح استلهـامه لتراث أرسطو ، وكذلك الانجاز الذي حققه شراح كتـاب الشعر لأرسطو ، وخاصة ابن سينا ، وترى الفت كمال الـروبي أن :«السجلماسي استخدم هذا التعريف السينوي للشعر ، لأنه يخدم مدخله الى تناول الشعر ، بوصفه بنية اللغوية متميزة تعتمد على التخييل ، فضلا عن الوزن و القافية »[70] ، وهذه العناصر تتعلق ـ جميعها ـ بالشكل الخارجي للنص المتمثل في المواد الصوتية من وزن وقافية وكذلك المستوى الدلالي المتمثل في متصور التخييل ، وهي عناصر ينماز بها الشعر دون سواه من الأشكال الأجناسية الأخرى يضاف الى ذلك دور هذه العناصر في عملية التلقي ، وماتحدثه من تأثير .

والذي لا شك فيه أن السجلماسي أطلع على تراث حازم القرطاجني ، فهو إن لم يشر الى ذلك صراحة ، أفاد منه لأن أثر حازم في كتابه يبدو واضحا ، فقد ردّد السجلماسي تعريف حازم للشعر يقول : « ان الشعري ـ كما قد قيل ـ هو القول المخيّل المؤلف من أقوال موزونة متساوية ، وعند العرب مقفاة »[71] ، ويمكن أن نقارن هذا القول بما ورد في منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، يقول حازم : « الشعر كلام مخيّل موزون ، مختص في لسان العرب بزيادة التقفيه الى ذلك »[72] وترى الفت كمال الروبي أن السجلماسي لم يستفد من تراث حازم

القرطاجني النقدي في موضوع الشعر والشعرية ، وإنما أخذ مباشرة عن الفلاسفة المسلمين ، وهذا غير صحيح ، لأن الفت كمال الروبي تعترف بأن هناك التقاء بين حازم والسجلماسي في رؤيتهما للشعر [73] يضاف الى ذلك أن السجلماسي ردّد تعريف حازم الذي حرص على تقديم الشعر على أنه « كلام مخيل ، مختصّ في لسان العرب بزيادة التقفيه الى ذلك (...) » [74] ، أو أنه « التخييل » [75] أو أن التخييل « ما تقوم به الصناعة الشعرية »[76] كما أن السجلماسي يتفق مع حازم في أن شعرية الشعر لا تنحصر في أن القول موزونمقفى ، فليس كلّ كلام « موزون مقفى يسمى شعرا »[77] ، هذا معناه أن السجلماسي اطلع على مؤلفات حازم ، وخاصة كتاب : (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) ، وأفاد منها ، كما أفاد هو وحازم من مصدر واحد هو تراث الفلاسفة المسلمين في موضوع الشعر .

لقد عرّف السجلماسي الشعر بأنه كلام موزون مقفى مستبعدا تعريفا تشكّل في بيئة النقاد و العروضيين ، ثم سارع وأضاف عنصر التخييل الذي هو جوهر الحدّ ، وأساس الماهية ليؤكد مرة أخرى فهمه الدقيق للشعر ، وتصوّره أن العناصر العروضية من وزن وقافية غير كفلين بتحديد حدّ الشعر وماهيته و حقيقته ، فالشعر يقوم على المحاكـاة و التخييل ، ثم يأتي ـ بعد ذلك ـ دور الـوزن و القافية ، ذلك « أن القـول المخيّـل هو القول المركب من نسبة أو نسب الشيء الى شيء ، دون اغترافها تركيبا تذعن له النفس ، فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير رويـــة وفكـــر (...)و السبب في هذا الإذعان و الانبساط ، الالتذاذ الكائن للنفس الناطقة من إدراك النسب و الاشتراكـات و الوصل بين الأشياء »[78] .

وعلى العموم ، فتعريف السجلماسي للشعر ، وربطه بعنصر التخييل ، أمر يقرّ للخيال بالفاعلية ، لكن السجلماسي الذي ضبط نوع المعاني الملائمة للشعر و الشعرية ، أشار الى الألفاظ التي تدل على التأثير الذي يحدثه الشعر في المتلقي ، وغالبا ما ينسب السجلماسي هذه الألفاظ الى الشعر ، مثل : (تذعن ، تنبسط ، تنقبض ، الإذعان ، الانبساط الالتذاذ) ، وغيرها من الألفاظ القادرة على تحقيق عملية التخييل ، وتصوير الاستجابة أثناء عملية التلقي ، وهي « استجابة نفسية تلقائية غير واعية ولا متعلقة ، بمعنى أنها تتم في غياب العقل بحيث لا يكون هناك أدنى تدخل منه »[79] كما أن المتلقي ـ هنا ـ غير متحكم في ردود أفعاله ، وهذه الاستجابة ـ حسب السجاماسي قد تكون انبساطا أو انقباضا ، وتنشأ عن الالتذاذ الناتج عن إدراك العلاقات المتفاعلة في النص [80].

وليس يتأتى للناظر في كتاب (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) تحديد المصطلحات الخاصة بمتصوّر الشعرية دون اللجوء الى المنهج المتصوّري كما حدّده توفيق الزيدي وذلك للتحكّم في المنظومة المصطلحية و التحكّم في شبكاتها [81] ، والمقصود ـ هنا ـ بمتصوّر الشعرية أبرز المتصوّرات الخاصة بجنس الشعر ـ كما حدّدها أرسطو ، لأن المتصوّر هو بناء ذهني ، فيه تجريد و تركيز ، وهو بهذا المعنى « صيغة مثلى تكشف لنا عن مستوى التجريد الذي بلغته أمة من الأمم في التعبير عن مستوى ممارستهم لعلم من العلوم »[82] ، وتتكون هذه المتصوّرات من منظومة مصطلحية تشمل : المحاكاة ، و التخييل ، و التخيّل ،و التعجيب ، والاستغراب ، والتصدير ، والوزن، و القافية ، و التناسب ، والتغيير ، وسواها وقد يتفرّع على الواحد من هذه المتصوّرات ، مفهوم يعاضد المتصوّر من قبيل حديث السجلماسي عن التخييل في علاقاته بجهات الشعر و موضوعاته ، وكذلك حديثه عن الاختلاف والغموض في علاقته بالمنزع الشعري .

هكذا نرى كيف عرّف السجلماسي ، وقبله حازم القرطاجني الشعر بأنه كلام موزون مقفى مستعينا بتعريف تشكل في بيئة النقاد العروضيين ، كما استدرك السجلماسي وسارع الى محو هذا التعريف ، فقدم تعريفا مغايرا له جعل التخييل جوهره وأساس الماهية ، ولم يقتصر السجلماسي على تغيير تعريف الشعر ، بل أظهر ألوان المعاني التي يصلح بها تأليف النص ، وإشاعة الشعرية فيه ، والذي لا شك فيه ، أن إبدال تعريف الشعر الذي روّجه النظامون بتعريف آخر يعتمد على التخييل ، كما أن تفصيل القول في المعاني التي يتألف منها الشعر ، أمر موصول بدفاع السجلماسي عن الشعر الحقيقي ودعوته الى الدفاع عن البلاغة ، والإعلاء من شأنها ، لأن البلاغة هي العلم الكلّي الكفيل بالإبـانة عن خصائص أجناس التـأليف وضروب الاختراع .

فوظائف الشعر كما تصوّرها النقاد المغاربة المتأثرين بأرسطو ، وبشراح كتابه (الشعر) من الفلاسفة المسلمين أمثال حازم القرطاجنيوالسجلماسي ، هي وظائف متراكبة متراتبة ، كما أنها دوائر يحكمها مركز واحد هو الشعر ، فاللغة الجمالية التي تحقق المتعة ، وهي أولى هذه الوظائف ، بما أنها متعلّقة بالمتلقي الذي لا يكون التذاذه بالشعر ، واستحسانه إياه ، إنلم يكن من المؤمنين بالشعر والمعتقدين بشعريته ، وكذلك من المنقادين لحكمه .

كما أن الفائدة الأخلاقية من الشعر على حدّ ما قاله حازم ـ هي وظيفة تتحقق للفرد أيضا حين يستحسن الفضائل المصوّرة في النص ، ويستقبح الرذائل التي يعاب بها المهجوّون عند الذّم و الحطّ من الشأن ، وأما أهم وظيفة ، فهي الوظيفة التي تتعلق بمكانة الشعر في حضارة العرب ، فإذا حظي الشعر بما كان له من رفيع

الشأن ، وكبير الاعتقاد فيه ، علا الشعر و تحققت فيه الشعرية ، وذلك بتحكّم النظام البياني في الفعل الإبداعي بقصد إشاعة الإثارة و الالتذاذوالامتناع و الفائدة في متذوق الشعر و متلقيه .

هوامش الدراسة :

1- ينظر : حمادي صمود ، في نظرية الأدب عند العرب ، الطبعة الاولى ، دار شوقي للنشر و التوزيع ، تونس : 2000 ص62 .

[2]- ينظر : عبد الجليل بن عبد الكريم سالم ، التأويل عند الغزالي ، نظرية وتطبيقا ، د.ط، تونس 2000،ص136.

[3]- حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، الطبعة الأولى، المطبعة الرسمية، تونس:1966 ،ص71.

[4]- عرّف قدامة بن جعفر الشعر بقوله : إن الشعر «قول موزون مقفى يدل على المعنى » (ينظر : نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الثانية مكتبة الخانجي ، القاهرة 1977ص17.

[5]- ينظر: مصطفى الجوزو: نظريات الشعر عند العرب ،(الجاهلية و العصور الاسلامية)، الجزء الاول ،الطبعة الاولى ، دار القلم العربي ، بيروت 1980، ص180.

[6]- فن الشعر من كتاب الشفاء لأبي على الحسين بن عبد الله ابن سينا ، بضميمة كتاب فن الشعر ، لأرسطو، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص161.

[7]- ينظر : تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ،بضميمة كتاب فن الشعر ،لأرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ص201

[8]- ينظر : منصور عبد الرحمن ، مصادر التفكير النقدي و البلاغي عند حازم القرطاجني ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة :1980ص283.

[9]- عصام قصبجي : نظرية النقد الأدبي ، الطبعة الأولى، دار القلم العربي ، بيروت ،ص180.

[10]- أحمد الجوة ،بحوث في الشعريات (مفاهيم واتجاهات) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، تونس:2004 ،ص140.

[11]- حازم القرطاجني: المنهاج ، ص71.

[12]- ينظر : فن الشعر من كتاب الشفاء بضميمة كتاب :فن الشعر لأرسطو، ترجمة :عبد الرحمن بدوي ،ص171.

[13]- حازم القرطاجني: المنهاج ، ص72.

14- ورد نص ابن سينا مع بعض الاختلاف في كتاب الشعر لأرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ص 12 ، و نصه :« فالكائنات التي تقتحمها العين حينما تراها في الطبيعة تلذ لها مشاهدتها مصورة إذا أحكم تصورها ، مثل صور الحيوانات الخسيسة و الجيف»

[15]- حازم القرطاجني: المنهاج ، ص 117.

[16]- المصدر نفسه ، ص 28.

[17]- ينظر : عصام قصبجي ، نظرية النقد الأدبي ، ص183.

[18]- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص67.

[19]- المصدر نفسه ، ص18.

[20]- ينظر : الدكتور صفوت عبد الله الخطيب : نظرية حازم القرطاجني النقدية و الجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة 1986،ص69

[21]- حازم القرطاجني: المنهاج ،ص86.

[22]- حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة و التخييل في الشعر ، الطبعة الأولى ،عالم الكتب ،القاهرة 1980،ص93.

[23]- فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ،ص18.

[24]- حازم القرطاجني: المنهاج ، ص106/105.

[25]- المصدر نفسه ، ص78/77.

26 . المصدر نفسه ، ص68.

27 . عبد الحميد جيدة ، التخييل و المحاكاة في التراث العربي و البلاغي ، الطبعة الاولى ، دار الشمال للطباعة والنشر و التوزيع ، لبنان: 1984، ص202.

28 . المرجع نفسه ، 202.

29 . حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة و التخييل في الشعر ، ص93.

30 . أحمد الجوة ، بحوث في الشعريات، ص150.

31 . جابر عصفور ، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي ، الطبعة الثالثة ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت:1983،ص200.

32 . المرجع نفسه : ص206.

33 . محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم ـ النقد المعرفي و المثاقفة ـ الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /بيروت : 2000، ص109 ويقارن عددا من الرسوم لأنواع المحاكاة الأصلية و الفرعية في ص:103/102 /108/107/105 وسواها.

34 . ينظر : المرجع نفسه ، ص123.

35 . ينظر : أرسطو: فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص198.

36 . ينظر : المصدر نفسه ، ص150.

37 . صفوت عبد الله الخطيب : نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية ، مكتبة نهضة الشرق القاهرة ، ص 69/ 70.

38 . ينظر : تعريف ابن سينا للشعر في أرسطو ، فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص161.

[39]- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص89.

[40]- ينظر : المصدر نفسه ، ص 84/70/62 90 و ما سواها.

[41]- ينظر : نظريات الشعر عند العرب ، ص114-115 .

[42]– المرجع نفسه ، ص113.

[43]- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص89.

44 . المصدر نفسه ، ص21.

45 . المصدر نفسه ،ص21 .

46 . المصدر نفسه ، ص83.

47 . صفوت عبد الله الخطيب : نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية ، ص 66.

[48]- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص71.

[49]- أرسطو : فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص161.

50 . كتاب ارسطو طاليس في الشعر ، نقل أبي بشر متى يونس القنائي ، من السرياني الى العربي ، حققه مع ترجمة حديثه و دراسته لتأثير في البلاغة العربية ، الدكتور شكري محمد عياد ، الطبعة الأولى ،دار الكتاب للطبعة و النشر القاهرة :1967 ، ص66 .

51 . ينظر : محمد العمري: البلاغة العربية ، أصولها و امتداداتها ،افريقيا الشرق ، الدار البيضاء /بيروت :1999، ص508.

52 . – كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ترجمة شكري محمد عياد ، ص30.

53 . أرسطو : فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص161.

54 . صفوت عبد الله الخطيب : نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية ففي ضوء التأثيرات اليونانية ص :72.

55 . سعد مصلوح: حازم القرطاجني و نظرية المحاكاة و التخييل في الشعر ، ص 139.

56 . مصطفة الجوزو: نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية و العصور العربية)،ص105.

57 . محمد مفتاح : مشكاة المفاهيم ، الصفحات :123/109/98.

58 . مصطفة الجوزو: نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية و العصور العربية)،ص109.

59 . المرجع نفسه ،ص142/135.

60 . ينظر : المرجع نفسه ، ص142/135.

[61]- المرجع نفسه ، ص135

[62] ـ المرجع نفسه ، ص120/119.

[63]- ينظر: الدكتور منصور عبد الرحمن ، مصادر التفكير النقدي و البلاغي عند حازم القرطاجني ، مكتبة الأنجلومصرية ،القاهرة:1980، ص285.

[64]-المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق علال الغازي ، الطبعة الأولى مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب 1980 ، ص218.

[65]-ينظر : تعريف ابن سينا للشعر في : أرسطو : فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص161.

[66]- أرسطو:فن الشعر ، ترجمة عبد رحمن بدوي ، ص191.

[67]-ينظر: محمد لطفي اليوسفي : الشعر و الشعرية ، الفلاسفة و المفكرون العرب ما انجزوه و ما هفوا اليه ، دار العربية للكتاب تونس/ليبيا 1992 ، ص328 .

[68]-في نظرية الأدب عند العرب :الطبعة الأولى ،دار شوقي للنشر والتوزيع ،تونس ، ص62.

[69]- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ص407.

[70]-مفهوم الشعر عند السجلماسي ، مقال منشور في مجلة فصول المجلد السادس ، العدد الثاني ، فبراير /مارس 1986ص36 .

[71]-المنزع البديع في تجنيس أسراليب البديع ، ص407 .

[72]-منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،ص89.

[73]-ينظر : مفهوم الشعر عند السجلماسي، ص37.

[74]-منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،ص89

[75]-المصدر نفسه ،ص70.

[76]-نفسه ،ص63 .

[77]- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،ص28 .

[78]-المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، ص 219.

[79]-الدكتورة الفت كمال الروبي : نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ص 113

[80]-ينظر : المرجع نفسه ، ص39.

[81]-ينظر : جدلية المصطلح و النظرية النقدية ، الطبعة الأولى ، مطبعة قرطاج ، تونس 1998ص570.

[82]-حمادي صمود : في نظرية الأدب عند العرب ، ص46.

قائمة المصادروالمراجع :

1. أرسطو طاليس في الشعر ، نقل أبي بشر متى يونس القنائي ، من السرياني الى العربي ، حققه مع ترجمة حديثه و دراسته لتأثير في البلاغة العربية ، الدكتور شكري محمد عياد ، الطبعة الأولى ،دار الكتاب للطبعة و النشر القاهرة :1967.

2 . فن الشعر من كتاب الشفاء :ابن سينا ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت:1973م.

3 .: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر :ابن رشد ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة، بيروت ،لبنان:1973.

4 . نقد الشعر :قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الثانية مكتبة الخانجي ، القاهرة 1977.

5 .منهاج البلغاءو سراج الأدباء :حازم القرطاجني،تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، الطبعة الأولى، المطبعة الرسمية، تونس:1966.

6 . المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : السجلماسي، تحقيق علال الغازي ، الطبعة الأولى مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب 1980.

7. التأويل عند الغزالي :عبد الجليل بن عبد الكريم سالم ، نظرية وتطبيقا ، د.ط، تونس 2000.

8 . نظريات الشعر عند العرب(الجاهلية و العصور الاسلامية):مصطفى الجوزو،الجزء الاول ، الطبعة الاولى ، دار القلم العربي ، بيروت 1980م.

10 . مصادر التفكير النقدي و البلاغي عند حازم القرطاجني:منصور عبد الرحمن ،مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة :1980.

11. نظرية النقد الأدبي :عصام قصبجي ، الطبعة الأولى، دار القلم العربي ، بيروت.

12 . بحوث في الشعريات (مفاهيم واتجاهات) :أحمد الجوة ،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، تونس:2004.

13 . نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية :صفوت عبد الله الخطيب ، مكتبة نهضة الشرق القاهرة 1986.

14 . حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر :سعد مصلوح، الطبعة الأولى ،عالم الكتب ،القاهرة 1980.

15 . التخييل والمحاكاة في التراث العربي و البلاغي :عبد الحميد جيدة ، الطبعة الاولى ، دار الشمال للطباعة والنشر و التوزيع ، لبنان: 1984.

16 . مفهوم الشعر:جابر عصفور ،دراسة في التراث النقدي ، الطبعة الثالثة ، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت:1983.

17 . مشكاة المفاهيم(النقد المعرفي و المثاقفة) :محمد مفتاح، الطبعة الأولى ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /بيروت :2000.

18 . نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية : صفوت عبد الله الخطيب ، مكتبة نهضة الشرق القاهرة.

19 . البلاغة العربية ، أصولها و امتداداتها :محمد العمري،افريقيا الشرق ، الدار البيضاء /بيروت :1999.

20 .مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجني:منصور عبد الرحمن ،مكتبة الأنجلومصرية القاهرة:1980.

21 . في نظرية الأدب عند العرب :حمادي صمود ، الطبعة الاولى ، دار شوقي للنشر و التوزيع ، تونس : 2000 .

22 . الشعر والشعرية ، الفلاسفة و المفكرون العرب ما انجزوه و ما هفوا اليه :محمد لطفي اليوسفي، دار العربية للكتاب تونس/ليبيا1992 .

23-مفهوم الشعر عند السجلماسي:الفت كمال الروبي ، مقال منشور في مجلة فصول المجلد السادس ، العدد الثاني ، فبراير /مارس 1986

24-نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ،من الكندي حتى ابن رشد : الفت كمال الروبي ، الطبعة الأولى ، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت:1983م.

26-جدلية المصطلح والنظرية النقدية : توفيق الزيدي، الطبعة الأولى ، مطبعة قرطاج ، تونس 1998.